ثلث حالات السرطان يمكن الشفاء منها إذا تم اكتشافها في الوقت المناسب

اعداد رولى راشد

"متى نتخلص من تعريف الصحة السلبي؟ كأن نقول أن كنت لا تعاني من أي مرض فأنت سليم معافى. يجب أن نجد تعريفا ايجابيا للصحة لأن المرض موضوعي بينما الإحساس بالعافية أمر ذاتي." (أوشو).

حكاية المرض مع الانسان هي حالة يتعرّض لها في الطفولة كما في الشباب والشيخوخة. وغالباً ما يمرض الانسان. فيتعافى في مراحل ويكون الأسير في أخرى. والفريسة الضحية في مرحلة النهاية. ولعل من اهم الامراض الشائعة اليوم والتي ما تزال قادرة على الانقضاض على صحة الانسان مرض السرطان. الذي ما يزال بنظر الكثير من المجتمعات ذلك الذي «لايسمى» او «هيداك المرض».

الا انه رغم كل ما يدور حول هذا المرض من مخاوف وينتج عنه من حالات يأس. فان كل الابحاث والدراسات الجارية بشأنه تلحظ تزايد عوامل النجاة منه في كثير من الحالات مع ترّقب الوصول الى القضاء النهائي عليه.

ولفهم اهمية هذا المرض تكفي الاشارة الى ان السرطان هو من أهمّ أسباب الامراض والوفيات في جميع أرجاء العالم، بما يقارب ١٤مليون حالة جديدة، و ٨,٢ مليون وفاة متعلقة بالسرطان في عام ٢٠١٢.
من المتوقع أن يزيد عدد حالات الإصابة بالسرطان بحوالي ٧٠٪ خلال العقدين المقبلين.
والسرطان مصطلح عام يشمل مجموعة من الأمراض يمكنها أن تصيب كل أجزاء الجسم. ويُشار إلى تلك الأمراض أيضاً بالأورام والأورام الخبيثة. ومن السمات التي تطبع السرطان التولّد السريع لخلايا شاذة يمكنها النمو خارج حدودها المعروفة واقتحام أجزاء الجسد المتلاصقة والانتشار إلى أعضاء أخرى. ويُطلق على تلك الظاهرة اسم النقيلة. وتمُثّل النقائل أهمّ أسباب الوفاة من جرّاء السرطان.

كيف ينشأ السرطان؟

ينشأ السرطان من خلية واحدة. ويتم تحوّل الخلية الطبيعية إلى خلية ورمية في مراحل متعدّدة. وعادة ما يتم ذلك التحوّل من آفة محتملة التسرطن إلى أورام خبيثة. وهذه التغيّرات ناجمة عن التفاعل بين عوامل الفرد الجينية وثلاث فئات من العوامل الخارجية يمكن تصنيفها كالتالي:
العوامل المادية المسرطنة. مثل الأشعة فوق البنفسجية والأشعة المؤيّنة؛
العوامل الكيميائية المسرطنة. مثل الأسبستوس ومكوّنات دخان التبغ والأفلاتوكسين (أحد الملوّثات الغذائية) والأرسنيك (أحد ملوّثات مياه الشرب)؛

العوامل البيولوجية المسرطنة. مثل أنواع العدوى الناجمة عن بعض الفيروسات أو الجراثيم أو الطفيليات.
وتحتفظ منظمة الصحة العالمية. من خلال وكالتها المعنية ببحوث السرطان. أي الوكالة الدولية لبحوث السرطان. بتصنيف للعوامل المسرطنة.
ويُعد التشيّخ من العوامل الأساسية الأخرى التي تسهم في تطوّر السرطان. وتزيد نسبة وقوع السرطان بشكل كبير مع التقدّم في السن وذلك يعود. على الأرجح. إلى زيادة مخاطر الإصابة بسرطانات معيّنة مع التشيّخ. وتراكم مخاطر الإصابة بالسرطان يتم إلى جانب انخفاض فعالية آليات التصليح الخلوي كلّما تقدم الشخص في السن.

بعض عوامل الخطر المرتبطة بالسرطان

يعتبر تعاطي التبغ والكحول واتباع نظام غذائي غير صحي وقلّة النشاط البدني من عوامل الخطر الرئيسية المرتبطة بالسرطان في جميع أنحاء العالم.
وقد نشرت الوكالة الدولية لأبحاث السرطان التابعة لمنظمة الصحة العالمية دراسة جديدة حول أسباب الإصابة بالسرطان وتأثير البدانة على انتشاره. ونشرت الدراسة في مجلة «لانسيت لعلم الأورام» (Lancet Oncology)». وأشارت إلى أن ارتفاع مؤشر كتلة الجسم أصبح حاليا يمثل عامل خطورة للإصابة بالسرطان.

كما إن بعض الالتهابات المزمنة يمثل عوامل خطر للإصابة بالسرطان

في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل.
أمّا الإصابة بفيروسي التهاب الكبد B و C وبعض أنماط فيروس الورم الحليمي البشري فتزيد من خطر الإصابة بسرطان الكبد وعنق الرحم على التوالي. والعدوى بفيروس نقص المناعة البشرية يؤدي الى زيادة خطر الإصابة بالسرطان بصورة عالية مثل سرطان عنق الرحم.

الوقاية قبل المواجهة

يمكن الوقاية من أكثر من ٣٠٪ من حالات السرطان بتغيير أو تلافي عوامل الخطر الرئيسية ومنها:
تعاطي التبغ. فرط الوزن والسمنة. اتباع نظام غذائي غير صحي ينطوي على تناول كمية قليلة من الخضر والفواكه. قلّة النشاط البدني.تعاطي الكحول. العدوى بفيروس الورم الحليمي البشري. العدوى بفيروس التهاب الكبد B. الأشعاع المؤيّن وغير المؤيّن. تلوّث الهواء في المناطق الحضرية. والتعرّض للدخان الناجم عن حرق الوقود الصلب داخل الأماكن المغلقة.
ويمثل تعاطي التبغ أهم عوامل الاختطار المرتبطة بالسرطان. إذ يقف وراء ٢٠٪ من وفيات السرطان العالمية و٧٠٪ من الوفيات الناجمة عن سرطان الرئة. أمّا العداوى الناجمة عن فيروس التهاب الكبد B وفيروس الورم الحليمي البشري فهي مسؤولة عن نحو ٢٠٪ من وفيات السرطان في كثير من البلدان المنخفضة الدخل.

ويمكن الحد من وفيات السرطان إذا ما تم الكشف عن الحالات وعلاجها في المراحل المبكّرة. وتستند جهود الكشف المبكّر عن السرطان إلى عنصرين اثنين هما:

التشخيص المبكر

التعرّف على علامات السرطان الأولى (مثل العلامات التي تميّز سرطان عنق الرحم وسرطان الثدي والسرطان القولوني المستقيمي وسرطان الفم) من أجل تيسير التشخيص والعلاج قبل أن يبلغ المرض مراحل متقدمة.
وتكتسي برامج التشخيص المبكّر أهمية خاصة عند عدم وجود أساليب تحرّي فعالة أو كما هو الحال في الأماكن الشحيحة الموارد - عدم وجود أساليب تحرّي او تدخلات علاجية منفذة. حيث يتم تشخيص معظم الحالات عندما يكون المرض قد بلغ مراحل متقدمة للغاية وحيث تنعدم وسائل تحرّي المرض.

التحرّي

الغرض من التحرّي هو الكشف عن حالات شاذة توحي بوجود سرطانات

معيّنة أو حالات سابقة للسرطان وإحالتها بسرعة إلى المرافق المعنية للاستفادة من خدمات التشخيص والعلاج. وتضمن برامج التحري فعالية خاصة فيما يخص أشكال السرطان الشائعة التي يوجد بخصوصها اختبار تحر عالي المردود وميسور التكلفة ومقبول ومتاح لمعظم السكان المعرّضين للخطر.

العلاج

يتسم بعض أكثر أنواع السرطان شيوعاً، مثل سرطان الثدي وسرطان عنق الرحم وسرطان الفم والسرطان القولوني المستقيمي، بمعدلات شفاء مرتفعة عندما يتم الكشف عنها في مراحل مبكّرة وعلاجها استناداً إلى أفضل الممارسات في هذا المجال.
كما بالامكان مواجهة وعلاج بعض أنواع السرطان مثل سرطانات الدم والأورام اللمفوية التي تصيب الأطفال والأورام المنوية الخصيوية، رغم انتشارها الواسع، واحراز معدلات شفاء مرتفعة إذا ما تم توفير العلاج المناسب للمصابين بها.

والى ذلك، فان التشخيص الصحيح للسرطان ضروري لمعالجة فعالة وملائمة لان كل نوع من انواع السرطان يتطلب نظام علاج خاص ويشمل تدخل واحد أو مجموعة من التدخلات، مثل الجراحة والمعالجة الإشعاعية والمعالجة الكيميائية. والغرض المنشود هو ضمان الشفاء للمرضى وإطالة أعمارهم وتحسين نوعية حياتهم. ويمكن تحقيق ذلك عن طريق الرعاية الداعمة او الملطفة والدعم النفسي.
وهنا يمكن القول ان الدول لا تبذل ما في وسعها في محاربة السرطان. كما تشير التقديرات إلى أن **ثلث حالات السرطان يمكن الشفاء منها إذا تم اكتشافها في الوقت المناسب**، ومعالجتها بشكل صحيح. (والثلث الآخر تمنع إذا كانت تدابير الصحة العامة موسّعة في المكان)

استراتيجية منظمة الصحة العالمية

وفي عام ٢٠١٣، أطلقت منظمة الصحة العالمية خطة العمل العالمية للوقاية من الأمراض غير السارية ومكافحتها للفترة ٢٠١٣- ٢٠٢٠ الرامية إلى خفض الوفيات المبكرة بسبب السرطان وأمراض القلب والأوعية الدموية وداء السكري والأمراض التنفسية المزمنة بنسبة ٢٥٪ بحلول العام ٢٠٢٥. بعض الأهداف الطوعية هو الأكثر ملائمة للوقاية من السرطان، التي يهدف منها الى الحد من انتشار تعاطي التبغ بنسبة ٣٠٪.

وتتعاون منظمة الصحة العالمية والوكالة الدولية لبحوث السرطان مع وكالات الأمم المتحدة عن طريق الوكالات المعنية بالوقاية من الأمراض غير المعدية (غير السارية) ومكافحتها مع الهيئات الشريكة الأخرى من أجل بلوغ الأهداف التالية:
- زيادة الالتزام السياسي بالوقاية من السرطان ومكافحته والسيطرة عليه؛
- تنسيق وإجراء البحوث التي تتناول مسببات السرطانات البشرية وآليات التسرطن؛
- رصد عبء السرطان (حسب المبادرة العالمية بشأن إعداد سجلات عن السرطان)؛
- تطوير استراتيجيات علمية للوقاية من السرطان ومكافحته؛
- استحداث معارف جديدة ونشر المعارف القائمة لتيسير عملية توصيل النُهج المسندة بالبيّنات لمكافحة السرطان؛
- تطوير معايير وأدوات لتوجيه عمليتي تخطيط وتنفيذ التدخلات في مجالات الوقاية من السرطان والكشف عنه في مراحل مبكّرة وتوفير خدمات العلاج والرعاية لمرضاه؛
- تيسير إقامة شبكات واسعة بين الشركاء والخبراء في مجال مكافحة السرطان على الصعيد العالمي والصعيدين الإقليمي والوطني؛
- تعزيز النُظم الصحية على الصعيدين الوطني والمحلي من أجل توفير خدمات العلاج والرعاية لمرضى السرطان؛
- وتقديم المساعدة التقنية من أجل نقل أفضل الممارسات في مجال مكافحة السرطان، بسرعة وفعالية، إلى البلدان النامية.

العبء الاقتصادي

اقتصادياً، **يستهلك السرطان حاليا حوالي نسبة ٥٪ من مجموع تكاليف الرعاية الصحية**؛ فارتفاع عدد الإصابات، البقاء على قيد الحياة لفترة طويلة وارتفاع تكاليف الأدوية والتكنولوجيات الجديدة يشير الى أن النمو في الإنفاق على السرطان فاق نسبة النمو في إجمالي الإنفاق الصحي. **كما ان انعكاس الوفاة المبكرة والاعاقة الناجّة عن مرض السرطان على الاقتصادي العالمي يكلفان حوالي ٩٠٠ مليار دولار أمريكي**.

وتشير تقديرات حديثة الى أن الأدوية الجديدة لعلاج المرضى الذين يعانون من السرطان هي بكلفة ما بين ٦ آلاف و ١٠ آلاف دولار شهريا؛ فيما ان النتيجة الصحية المرتبطة بالتكاليف المدفوعة على العلاج هي محدودة في أغلب الأحيان.
يبقى مرض السرطان ورغم التطور التكنولوجي الكبير أحد أمراض العصر التي تتحدى الطب. لكن فرص الشفاء منه، وكما أشارت دراسة جديدة، لا تعتمد فقط على التطور الطبي، وإنما تعتمد أيضا على مكان المريض وأين يعالج .

انطلاقاً من كل ما يعدّ من دراسات وابحاث حول هذا المرض، وان كانت غير كافية من قبل بعض الجهات وفق ما تذكره منظمة الصحة العالمية فان الأمل سيبقى بامكانية التوّصل الى حسم المواجهة مع السرطان والسيطرة عليه.

"الصحة والانسان" تتناول في هذا العدد موضوع مرض السرطان: واقعاً ومستقبلاً وكلفة ،وهي تشكر كل من ساهم في اعداد المواضيع الخاصة به، وخصوصاً الدكتور نبيل قرنفل الذي كان له الجهود الاكبر وهو المشهود له بسعة اطلاعه وخبرته في السياسة والنظم الصحية.

01- 85 66 58
www.dar-ajaza-islamia.org.lb
دار العجزة الإسلامية
وأذكروا نعمة الله عليكم